الفصل الرابع

أمم كـــرمت المـرأة

وبرغم ما سردناه آنفاً عن وضع المرأة السيئ واللاإنسانى فليس معنى هذا أن جميع الأمم ظلمت المرأة وبخستها حقها ، وإنما هناك أُمم كرمت المرأة فى بعض حقب التاريخ .

مكانة المرأة عند قدماء المصريين :

فعند قدماء المصريين كانت للمرأة مكانة سامية ، ويتجلى ذلك فى عبادة «إيزيس» إلهة الأمومة والحب والجمال ، ورمز القمر ، وهى تمثل الخصب كما تمثله المرأة .

واضطلعت المرأة بأعباء المُلك ، وجلست على كرسى العرش ، وأول ملكة تصدرت التاريخ هى الملكة «حتشبسوت» .

ولقد أحسنت قوانين الحضارة المصرية إلى المرأة كزوجة وكأم ، فاعتبرتها مخلوقاً ساميًا ، ونرى ذلك واضحاً فى وصايا حكمائهم وكتاباتهم ، وقد عُثر على أوراق بردى قرب «طيبة» جنوب مصر ، فيها كثير من النصائح والحِكَم والوصايا بالمرأة ، منها :

(١) وصايا حكيم الدولة القديمة (بتاح حتب) بالزوجة :

« إذا أصبحت رجلاً ذا مركز فأَقِمْ لك بيتاً (أى : تَزَوَّجْ) وأحب زوجك فيه حبًّا خالصاً ، وأعطها كفايتها من الطعام واللباس ، واشْتَر لها العطر ، وأعد لها الزيت ؛ لأن فيه شفاء أعضاء جسمها ، واجعلها سعيدة ما دُمْتَ حيًّا ، فإن المرأة مرآة لزوجها ، ينعكس فيها ما يبذله فى سبيل سعادتها ، ولا تكن خشناً فى بيتك ، فاللين يحرك قلب المرأة ، والغِلْظَة تنفرها » .

ومن وصايا حكيم فرعونى آخر لابنه :

« اتَّخِذْ لك فى شبابك زوجة تلد لك أبناء ، فإن أحسن شىء فى الوجود هو بيت الإنسان الخاص » .

(ب) وصايا حكيم الدولة الحديثة «آنى» بالأم :

« أطع والدتك واحترمها ، فإن الإله هو الذى أعطاها لك ، لقد حملتك فى بطنها حملاً ثقيلاً ناءت بعبئه وحدها دون أن أستطيع لها عوناً ، وعندما ولدتك قامت على خدمتك كما لو كانت جارية لك ، وعندما اشتد عودك لم يسمح لها قلبها أن تقول لماذا أفعل ذلك ؟ وكانت ترافقك فى كل يوم إلى المدرسة لتدرس وتتعلم وتتهذب ، ثم تغدق على معلمك خبزاً وشراباً من وفيرات خير بيتها ، وقد ترعرعتَ واتخذتَ لك زوجة وبيتًا ، فتذكر أمك التى ولدتك وأنشأتك تنشئة صالحة ، لا تدعها تلومك وترفع أكفها إلى الله فيسمع شكواها »[1].

وكان تكريم المرأة عند قدماء المصريين فى حياتها وبعد وفاتها ، فقد كتب قائد عسكرى إلى روح زوجته يقول :

« لم أتخلَّ عَنْك ، ولم أُدْخِل إلى قلبك أى هم ، ولم أُخْفِ عنك طوال حياتك شيئاً ـ لم أفعل بك سوءًا و لم أخنك ، وعندما حضرت كانت روحك قد صعدت إلى السماء ، فبكيتك كثيرًا مع أهلى أمام منزلى ، واستحضرت ملابس وأقمشة يلفون بها جسدك الطاهر ، ولم أدع شيئاً حسناً إلا فعلته لك »[2].

مكانة المرأة عند البابليين :

لم يكن مركز المرأة فى بابل أقل من مركز المرأة المصرية القديمة ، إن لم يكن أرقى ، ففى سنة ٢٣٥٠ ق.م. استطاع حمورابى أن يُشرع للمرأة قانوناً يرتفع بمنزلتها إلى الدرجة العظمى من الاستقلال والحرية ، ونص هذا القانون على « أن الزواج ليس إلا تعاقداً بين الرجل والمرأة ، وأنه ليس للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة ، مالم تكن عاقرًا

---

(١) التفكير الاجتماعى : نشأته وتطوره ، للدكتور زيدان عبدالباقى

(٢) المرأة فى مختلف العصور ، للأستاذ أحمد خاكى .

أو مريضة بمرض لا أمل فى الشفاء منه ، والرجل مسئول عن ديون زوجته التى تستدينها ، وعن البيت الذى تأوى إليه ، وعن الميراث الذى يخلفه لها ولأولادها » .

وكانت المرأة مساوية للذكر فى الميراث ، وكان الطلاق مباحاً بيد الرجل ، فإن طلق الرجل امرأته كان لها أن تحتضن أولادها ، فإذا أثبت الزوج أنها شريرة استطاع أن ينزلها منزلة الإماء .

وكان للمرأة أن تُقاضِى الرجل إذا شاءت ، فإذا ترملت استطاعت أن تحل محل زوجها فى ملكية الأرض والوصاية على أولادها . وكان للنساء الحق فى أن يَكُنَّ قاضيات، وحاكمات ، وشاهدات ، وكاتبات ، كما كان لهن الحق فى الانتظام فى سلك الكهان .